

الدور السياسي للمرأة في ممالك غرب إفريقيا القديمة

The political Role of women in ancient West African Kingdoms

شعباني نور الدين*

جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة، الجزائر

norchabani@yahoo

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2026/01/31	2026/01/05	2025/11/23

الملخص:

ظل موضوع المرأة في إفريقيا مرتبط بالعبودية وخدمة الأرض، أو مكافحة من أجل تأمين لقمة العيش لأبنائها وعائلتها، حيث حرمت من أدنى الحقوق الانسانية، لكن التاريخ يحمل في طياته صور أخرى مسكوت عنها عن المرأة الإفريقية، حيث التاريخ يحمل في طياتها الكثير من صور البطولات للمرأة الافريقية القوية، فلقد تزعمت قومها و قادتهم إلى المجد والانتصار والتحرر في كثير من الحالات، وتميزت بدهاء سياسي يفوق تميزها بالجمال والانوثة. لهذا كان اختياري لهذا الموضوع مجالا للدراسة في ورقي البحثية هذه، وكان تركيزي على مجال غرب إفريقيا و ممالكها القديمة بالخصوص، لأن هذه المنطقة بالذات عانت من إجحاف في حقها من حيث الكتابة التاريخية، التي كتبت بأقلام وأيدولوجية استعمارية، مما همش كل دور بطولي و إيجابي للمرأة الافريقية في فترة ما قبل الاستعمار الاوربي، وهو ما جعل توضيح علاقة المرأة بالحكم و السياسة في هذه الممالك جديرا بهذه الدراسة. ولقد انطلقت في هذه الدراسة من إشكالية تتمثل في البحث عن الدور السياسي الذي مارسته المرأة في ممالك غرب إفريقيا وعلاقتها بحكم تلك الممالك من خلال دراسة نماذج مختلفة في تاريخ هذه الممالك. وتم الاعتماد على المنهج التاريخي الاستقرائي انطلاقا من الوثائق التاريخية و المصدرية.

* المؤلف المرسل

ولقد خلصت الدراسة إلى أن خلف أسوار قصور الممالك الإفريقية كان صوت المرأة هو الصوت الذي لا يمكن تجاهله في اتخاذ القرارات المهمة في الدولة، وأن أكبر الانجازات السياسية و العسكرية في افريقيا كان وراءها نساء.

الكلمات المفتاحية: المرأة؛ الممالك الافريقية؛ السياسة ؛ الحكم؛ السلطة

Abstract:

The topic of women in Africa has historically been linked to themes of slavery and servitude, as well as the struggle to secure sustenance for their children and families, which has often resulted in the deprivation of their fundamental human rights. However, historical narratives encompass additional, frequently neglected dimensions regarding the experiences of African women. There exists a wealth of examples illustrating the valor of resilient African women who, in numerous instances, guided their communities toward triumph, success, and liberation, while exhibiting a level of political acumen that transcended their own beauty and femininity. This critical perspective informs my selection of this topic for my research paper, with a specific emphasis on West Africa and its ancient kingdoms. This geographic region has been subjected to historical injustices, as colonial biases and ideologies have marginalized the heroic and commendable contributions of African women during the pre-colonial period. Consequently, elucidating the interplay between women and governance and politics within these kingdoms represents a significant focus of this study. The research commenced with an inquiry into the political roles assumed by women in the kingdoms of West Africa and their connections to the governance of those realms, as illustrated by the examination of various historical instances. An inductive historical methodology was employed, drawing upon historical documents and primary sources. The study concluded that within the confines of the palaces of African kingdoms, the voices of women played an essential role in shaping significant state decisions, with women being instrumental in achieving some of the most remarkable political and military successes on the continent.

Key words: Women; African kingdoms; politics; governance; power

رغم أنَّ الكُتَّاباتِ التاريخيةَ الغربيةَ الرَّائدةَ في مجال الدِّراساتِ التاريخيةِ الإفريقيةِ لم تذكر المرأةَ الإفريقيةَ، إلَّا من خلال صورةَ نَمَطيَّةٍ تُحاولُ أن تحصرُها في صورةِ المرأةِ المضطَّهدةِ، مهضومةِ الحقوقِ، أو صورةِ المكافحةِ من أجل أسرتها واستماتتها في كسب لقمة العيش، إلَّا أنَّ هُناكَ صورةَ أُخرى للمرأةِ الإفريقيةِ نحاولُ إبرازها من خلال هذه الورقة البحثية، وهي صورة المرأة القائدة السياسية، الحاكمة، صاحبة الدهاء السياسي، والمدافعة عن سيادة بلدها. ولقد اخترت مجال غرب إفريقيا و ممالكها القديمة بالخصوص لأنَّ هذا المجال هو أكثر المجالات التاريخية نقصا من حيث الدِّراسات، مما جعل توضيح علاقة المرأة بالحكم و السياسة في هذه الممالك جديرا بهذه الدراسة.

ولقد انطلقت في هذه الدِّراسة من إشكالية تتمثل في البحث عن الدور السياسي الذي مارسته المرأة في ممالك غرب إفريقيا وعلاقتها بحكم تلك الممالك من خلال دراسة نماذج مختلفة في تاريخ هذه الممالك.

1. المرأة وحقوقها السياسية في ممالك غرب إفريقيا القديمة:

إنَّ الدَّارِسَ لممالك غرب إفريقيا في فترة الممالك الكبرى يجد بأنَّ المرأة لم تكن خارجة عن دائرة اهتماماتها، فلقد اعتبرتها شريكة أساسية في الحياة السياسية، ففي هذا الشأن نجد أن أوَّل مجلس تأسيسي عرفته إفريقيا وهو مجلس كوكروكان فوكا (Kuruka Fuga) الذي نظَّمه الزعيم التاريخي للإمبراطورية مالي الإسلامية سوندياتا كيتا خلال تأسيسه للإمبراطورية المالية سنة 1236م، قد فتح أمام المرأة مجالات البروز والمشاركة في الحياة السياسية، حيث نصت المادة 16 من بيان الميثاق على ما يلي: "إنَّ النِّساء، بالإضافة إلى انشغالاتهن اليومية، يجب أن يشاركن في كل شؤون حكمننا"¹.

وهكذا نلاحظ أن أول دستور في تاريخ غرب إفريقيا يُشرك المرأة في النقاش السياسي للدولة، كما كان للنساء في المجتمع المندي جماعات قوية تعرف بـ (نياغاموسو Niagamoussou)، حيث كانت تُستشار فيها النسوة في تقديم رأيهن بخصوص المشاكل التي تواجه القرية ليساهمن في إيجاد الحلول لها².

كما أخبرتنا الروايات الشفوية الخاصة بتاريخ بنين أن أم الملك في مملكة بنين القديمة كان لها رأيا قويا جدا في القرارات التي كان يتخذها الملك بخصوص القصر الملكي، كما كان لها رأيا مسموعا يعادل رأي كبار القضاة³.

ولعلّ أبرز مثال على الحقوق السياسية للمرأة في إفريقيا نجدها في ممالك الهوسا النيجيرية، حيث كانت الأميرة أمينة ابنة الملك باكو، صاحب إمارة زازو الهوسوية، والتي كان والدها يُحضّرُها معه لمجلس اجتماعاته وأعماله الحكومية منذ أن كانت ما تزال صبية، فتعلّمت فنون الحكم والسياسة وقابلت أبرز شخصيات ذلك العصر (القرن 16م)، و تعلمت فنون التفاوض السياسي، بالإضافة إلى فنون القتال و الحرب، من خلال المشاركة في عدة حروب مع شقيقها، وهذا ما أهلها لتصبح ملكة بعد وفاة والدها⁴.

إنّ هذه الأمثلة هي نماذج فقط من العديد من النماذج التاريخية التي تبين حرص الأفارقة على منح الحقوق لسياسية للمرأة بمختلف الطرق، ذلك أن هذه الحقوق لم تكن مورثة عن طريق العرف أو التقاليد و إنما وجدت حقوق تم تشريعها بالقانون والدستور.

2. توريث المرأة في الحكم عند الممالك الإفريقية:

كان الملوك في الممالك الإفريقية القديمة يورثون ابن البنت أو ابن الأخت، فعندما ذكر البكري ملك غانة الوثني تنكامين بن بوسي خلال القرن الحادي عشر الميلادي، قال عنه: «... وكان اسم ملكهم قبله بوسي وبوسي هذا خال تنكامين وتلك سيرتهم ومذهبهم

أن الملك لا يكون إلا في ابن أخت الملك لأنه لا يشك فيه أنه ابن أخته وهو يشك في ابنه ولا يقطع في صحة اتصاله به»⁵.

ومنه هذا الكلام نستنتج أن ملوك ممالك غرب إفريقيا الوثنيين كانوا يورثون ابن الأخت أو ابن البنت لأنهم يشكون في صحة انتساب أبنائهم من صلبهم نظرا لانتشار العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج في تلك المجتمعات الوثنية، مما كان يُصعّب على الرجل أن يثبت انتماء ابنه إلى صلبه، وهذا ما يجعل المرأة في هذه المجتمعات تتمتع بمكانة أكثر من الرجل في أمور وراثته الحكم عكس ما هو موجود في المجتمعات الأخرى خارج القارة الإفريقية، أو في المجتمعات الإفريقية المسلمة.

ولكن يبدو أن نفس الظاهرة كانت موجودة حتى عند بعض الأفارقة المسلمين، حيث نجد ابن بطوطة يذكر خلال القرن الرابع عشر للميلاد/الثامن للهجرة، لما تحدث عن قبيلة مسوفة الساكنين بولاته التابعة آنذاك لمملكة مالي الإسلامية، عندما وصف أمرهم بالغريب وأنهم ينسبون الابن إلى خاله ولا ينسب إلى أبيه، وأنه لا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه، رغم أنهم كانوا مسلمين ويحافظون على الصلوات ويتعلمون الفقه ويحفظون القرآن⁶.

يظهر أن هذا الأمر لا ينطبق فقط على عامة الناس في الممالك الإفريقية، إذ أن انتساب الرجال إلى آبائهم قد خص أيضا بعض المملوك العظام و المعروفين بدرجة تدينهم وورعهم وتمسكهم بالدين الإسلامي وحرصهم على تطبيق الشريعة الإسلامية في ممالكهم، ونذكر في هذا الأمر سلطان مالي منسا موسى الذي كان يُلقَّب بموسى كَنكو (أو موسى كاكان) نسبة إلى أمه التي تسمى نانا كَنكو، ولم ينسب إلى والده أبي بكر⁷.

3. مشاركة النساء الإفريقيات لأزواجهن الملوك في السلطة:

يبدو أن ظاهرة مشاركة زوجات الملوك لزوجاتهم الحكم كانت شائعة في الممالك الإفريقية القديمة، فملوك مالي كانوا يشركون زوجاتهم في أمور الدولة والحكم أيضا، وهذا

حسب شهادة ابن بطوطة الذي زار مالي وأقام فيها فترة من الوقت في عهد الملك منسا سليمان شقيق منسا موسى وخليفته على عرش مالي، حيث يقول في هذا الشأن: «... وأتفق في أيام إقامتي بمالي أن السلطان غضب على زوجته الكبرى بنت عمه المدعوة بقاسا، ومعنى قاسا عندهم الملكة، وهي شريكته في الملك على عادة السودان، ويذكر اسمها مع اسمه على المنبر»⁸.

كما يخبرنا محمود كعت بأن زوجة منسا موسى التي سافرت معه في رحلته إلى الحج وتسمى "أناري كنتي" كانت تحظى هي الأخرى بنفس مكانة السلطان عند عبيده وعند عامة الشعب، حيث أن كبير عبيده الذي كان يسمى "جنكي" كان لا يقوم على خدمة أحد من حاشية الملك ماعدا زوجته هذه، كما أنها كانت تحتكر عائدات إقليم مدينة جني من غرامات وإتاوات بما لهذا الإقليم من مكانة تجارية واقتصادية هامة وعائدات ضخمة⁹.

وإذا تمعنا جيّدا في نصوص ابن بطوطة لوجدنا أنّ القصر الملكي في مالي أثناء حكم عائلة كيتا كان يعيش تنافسا محموما بين نساء الملك على السلطة يمكن أن نشبهه بذلك الصراع الذي عرفته قصور السلاطين العثمانية بين حريم السلطان من أجل الانفراد بمنصب الزوجة الأولى للسلطان، وما كان يترتب عن ذلك الصراع من دسائس ومؤامرات تصل في كثير من الأحيان إلى انقلابات واغتيالات يتورط فيها سلطانات القصر بتواطؤ بعض قادة الجيش.

ففي هذا الصدد نقل لنا ابن بطوطة في رحلته أن الملك منسا سليمان غضب في إحدى المرات من زوجته الكبرى وشريكته في الملك و ابنة عمه في نفس الوقت وهي الملكة قاسا، وقام بسجنها عند بعض ضبّاط جيشه المعروفون بالفرارية، وولّى مكانها زوجته الأخرى المدعوة "بنجو"، ورغم أن هذه الأخيرة لم تكن من بنات الملوك وهو ما جعل الناس تُكثر الكلام في هذا الأمر وأنكروا عليه تفضيل واحدة من العامة على ملكة من السلالة الحاكمة،

وخاصة لما أذلّ بنات عمّه وطلب منهن أن يهتنن الملكة الجديدة "بنجو" فقممن بذر الرماد على أذرعهن كعلامة لإجلال الملكة الجديدة و تعظيمها لكنهن رفضن أن ينثرن التراب على رؤوسهن و التي كانت أيضا من طقوس تعظيم الملوك و إجلالهم في مملكة مالي¹⁰.

لكن يبدو أن الملكة الأولى "قاسا" لم تستسلم للأمر الواقع، حيث أنّها بمجرد خروجها من السجن، جاء بنات عمّها لتهنئتها على إطلاق سراحها وقمن بنثر التراب على رؤوسهن تعبيرا مِنْهُنَّ على تجديد الولاء والتعظيم لها دون غيرها، مما أثار حفيظة الزوجة الثانية التي قدمت شكوى إلى السلطان منسا سليمان وهو ما جعل بنات عم السلطان تخشين انتقام السلطان فلجأتن إلى الاستئجار بالجامع قبل أن يعفو عنهن. لكن الملكة الأولى "قاسا" لم تتوقف عند هذا الحد بل أنّها بقيت تمارس سلطتها وتتصرف كملكة، بل أنّها أصبحت كل يوم تركب عبيدها كما تركب البعير والحمير وتنثر التراب على رؤوسهم، وتقف عند المشور (وهو المجلس الملكي) وهي منقّبة، إلى أن فضحتها جاريته بعد استنطاقها من طرف قائد الجيش، فأخبرت الملك بأنّ الملكة قاسا تأمرت مع ابن عم السلطان المدعو "جاطل" والهارب إلى منطقة "كنبري" من أجل أن ينقلب على السلطان ويطيح به، فخشيت الملكة قاسا بعدما تم تهديدها بالقتل، ولجأت إلى دار الخطيب¹¹ ستجير به¹².

4. دور المرأة الإفريقية في تحقيق التوازنات السياسية:

كثيرا ما كانت المرأة الإفريقية تمارس دورا في توازن القوى بين الممالك أو القبائل المتنافسة من خلال الزواج السياسي الذي كانت تلجأ إليه بعض الممالك كـلّ للحفاظ على التوازن داخل المملكة، فخلال القرن 18م كانت مملكة الإمامة بفوتا جالون¹³ تعيش حالة من التنافس بين إمارات هذه الإمامة و بين إمارة الفولاني الذين يُعدّون رعاة بقر ومزارعين، وبين الجالونكي المزارعين، وذلك حول السيطرة على تجارة الأبقار والبنادق والعبيد والحبوب

في منطقة سواحل المحيط الأطلسي، وانتهى الصراع بتفوق الفولاني على الجالونكي، لكن من المفروض كان لا بد أن تكون الإماراتين متكافئتين حيث كلاهما يعترف بدولة الإمامة في تيمتو، وكلاهما ممثل بشيخ العشيرة، فكان من المفروض أن يكون هناك تناوب بين ممثلي العشيرتين المتنافستين حول تلك السيطرة وهما "عائلة ألفا" وعائلة سوريا، فظهر هناك صراع بين العائلتين من أجل السيطرة على إمامة الدولة الإمامية مما أضحى يهدد بانقسام الدولة، فكان اللجوء إلى الزواج المختلط بين العائلتين، وهنا ظهر دور النساء في ممارسة دورهن في التوازن بين العائلتين وفي وحدة الإمامة، ولم يكن عليهن بالاكْتفاء بدورهن كزوجات الإمام الحاكم¹⁴.

5. دور المرأة في تعيين الحكام وتوريث الملك:

كانت للمرأة الإفريقية دور كبير في توريث الحكم في ممالك إفريقيا الغربية، بحيث أن انتقال الحكم بين مختلف العشائر كان يتم عن طريق المرأة في كثير من الأحيان، فمثلا في مملكة بوغندا¹⁵ كانت وراثة الملك تتم عن طريق الأب، حيث أنَّ النساء الأميرات حتى وإن كُنَّ ينحدرن من السلالة الملكية إلا أنَّهن لم يكن يمكن أن ينتقل إليهن التاج الملكي، فكان الحصول على العرش يتطلب أن يكون الوريث ذكرا ينحدر من سلالة ملكية عن طريق الأب، وهذا الأمر يعطي لعشيرة أم الملك (وهي إحدى زوجات الملك السابق) دورا حاسما يجعلها تتحكم في قضية انتقال الحكم بين العشائر، فابنها الملك الجديد يصبح ينتمي بفضلها إلى عشيرة أمه، وبالتالي سوف يتخذ حاشيته وعصبة ملكة من أشخاص ينحدرون من عشيرة والدته، ومنه يتم إقصاء أبناء الملك السابق من زوجات أخريات وسيعتبرون بمثابة سلالة أقل شأنًا، بل في كثير من الأحيان كانوا يقومون بخنق الطفل عند ولادته حتى لا يطالب بالملك لما يكبر¹⁶.

ونفس الشيء نجده في مملكة كانم بورنو حيث كان للمملكة الأم وهي والدة الملك والتي تدعى "غامسو" دور كبير في تعيين حكام المقاطعات وأمراء الأقاليم الذين يكونوا غالبا من عشيرة السلطانة الأم، كما أنَّها الوحيدة التي يكون لابنها الحق في تولية عرش المملكة¹⁷.

6. نماذج من النساء الملكات في غرب إفريقيا:

1.6 الملكة تاسي هانغي أمؤدجا للمرأة للمملكة المتمردة:

كانت تاسي هانغي (Tasi Hangbè) أو نا هانغبي (Na Hangbe) حكمت مملكة داهومي من سنة 1708 إلى سنة 1711م، حيث خلفت أخاها التوأم أكابا (Akaba).

ولا نعرف عن هذه الملكة إلا الشيء القليل لأنه تم حذف اسمها من التاريخ البنين(داهومي السابقة)، ومعظم ما يتداولونه عن تاريخها يبقى متداولاً شفهيًا، حيث يقال أنها وصلت إلى الحكم بعد وفاة مفاجئ لأخيه الملك أكابا، في سنة 1708م، لأن أكبر أبنائه وهو أغبو ساسا (Agbo Sassa) كان صغيراً جداً في السن¹⁸.

وهناك رواية تقول بأنه بعدما توفي والدها اعتلت "تاسي هانغي" عرش مملكة داهومي مناصفة مع أخيها التوأم أكابا، لكنها فضلت الاستمرار في حياة اللهو والطيش لهذا تركت الحكم لأخيها، فكان الشعب ورجال القصر يلقبونها بالملكة التي لا تتجمل، حيث كانت تتصرف بحرية و تمارس أموراً مخجلة و فاسدة.. ورغم منصبها كملكة إلا أنها بقيت تتصرف بحرية ولا تعرف انضباطاً ولم تغير من سلوكها، حيث حولت القصر إلى مكان للهو حيث كانت كل أنواع المشروبات مباحة، فانتشرت سيرتها في كل أرجاء داهومي بينما المملكة كانت تعيش حالة حرب مع أعدائها وخاصة الأومينوس¹⁹ ، كما أصيب أخاها الملك "أكابا" بمرض الجدري وتوفي وهو في ميدان المعركة، لهذا قام مستشار الملك بطلب بتعويض الملك بأخته التوأم تاسي هانغي كملكة حتى لا يفقد الجيش معنوياته، فقبلت الملكة هذا

الأمر ولبست لباس أخيها الملك المتوفى ولم ينتبه الجيش لوفاة الملك نظرا للشبه الموجود بين الملكة و أخاها التوأم، فأخذت قيادة الجيش وتقدّمت صفوفهم محاولة تشريف روح أخيها الفقيد، فتمكّنت من قيادة جيشها نحو النصر وقتلت قائد الأومينوس، كما تمكنت من إنهاء الصراع القائم بين شعبي الداھومي والأومينوس، وبذلك كسبت الملكة "تاسي هانغي" احترام شعبها ونالت سمعة طيبة وأصبحت ملكة للداھومي بعدما كانت تحظى بسمعة السيئة.

قامت الملكة تاسي هانغي بتأسيس نظام عسكري يقوم على إنشاء كتائب عسكرية مكونة من النساء عُرفت بأمازون، لأنها كانت مقتنعة بأن النساء مثل الرجال قادرات على الحرب وفنون القتال، كما أسّست كتيبة المينوس (Les Minos) وهي كتيبة مكونة من حوالي 4000 امرأة مدربة على القتل دون رحمة ولا شفقة، حيث كان يتم اختيارهن من بين المراهقات من العبيد الأقوياء، فقد تم تكوينهن على عبادة ملكتهن ومنحها حياتهن، فقد كنّ مسلحات بسهام مسمومة ومناجل كبيرة، فلم يكن يتعدن عن الملكة خلال المعارك، و كنّ مشهورات بتقطيع أجساد أسراهن والتلويح برؤوسهم المقطوعة والمخضبة بالدماء بهدف إخافة العدو²⁰.

ولكن حتى وإن كانت تاسي هانغي قد أدت دورها كملكة بكل براعة وإستراتيجية، إلّا أن الكثيرون كانوا يلومونها على استمرارها في ممارسة حريتها الجنسية، فلقد كان معارضوها يرفضون أن تحكمهم إمرة منحرفة و فاسقة، لهذا خططوا سرّياً لاغتيال ابنتها الوحيد، إذ تقول الروايات الشفوية بأنّ الملكة تاسي هانغي لم تذرف الدموع و لم تصدر أية رد فعل لما أخبرتها إحدى جنديات كتيبة أمازون بمقتل ابنها، وبقيت صامته إلى غاية انعقاد المجلس الملكي الكبير، حيث دخلت الملكة تاسي إلى قاعة الاجتماعات لابسة فستانها الفاخر، وجلست على العرش فنظرت إلى الحاضرين فأنصتت للاغاني على رقصات التام تام التي كانت تُمَجّدُ شجاعتها في الحروب وعظمتها كملكة وقوة كتيبة أمازون،

بالإضافة إلى ذكر ألامها كأمّ فقدت ابنها الوحيد، ثم نهضت تاسي هانغي وتمركزت وسط القاعة فخلعت فستانها برفق وبقيت عارية أمام الحضور المذهولين من تصرّفها، فقامت بمد يدها باتجاه إحدى تابعاتها التي قدّمت لها جُرّة مملوءة بالماء، فأخذت الملكة بعض الماء وغسلت الأجزاء الحميمة من جسدها وصرخت بأعلى صوتها من ألم فقدانها ابنها لاعنة كل المجلس و كل شعب داهومي، وتمنّت له التعاسة إلى آخر حياته، بعدها تخلّت عن لقبها كملكة وخرجت من القاعة و لم ترجع²¹.

بعدها خلفها الملك أغاجا (Agadja) الذي عمّل على طمس كل انجازات الملكة تاسي من تاريخ مملكة داهومي، لكن رعلى الرُغم من ذلك فقد مازال العالم كله يذكر كتيبة أمازون التي أرعبت أعداءها²².

2.6. الملكة نزينغا أنموذجا للدهاء السياسي عند المرأة الإفريقية:

1.2.6. المُولد و النشأة:

وتدعى أيضا " نجولا آنا نزينغا مباندا"، وهو نفس الاسم الذي استخدمه البرتغاليون في تسمية المنطقة فيما بعد وهو أنغولا، وكانت تُدعى أيضا بالملكة نزينغا، وهي واحدة من أشهر النساء الإفريقيات في مقاومة الاستعمار الأوروبي، قادت الحرب ضد البرتغاليين في أنغولا لمدة أربعة عقود كاملة (1620 – 1660)²³.

وُلدت الملكة نزينغا عام 1581م، في كيدونغا (Kidonga) عاصمة ندونغ، وهي مملكة إفريقية صغيرة تقع في غرب المستعمرة البرتغالية المعروفة بأنغولا، حيث وُلدت في عائلة ملكية لهذه البلاد، والدها كليوانج (Kiluanji) كان ملكا لمملكة ندونغ، والذي كان لديه أيضا ابناً وبتان أخريتان. عندما وُلدت نزينغا كانت ولادتها صعبة حيث التف حول عنقها الحبل السري، ويبدو أن اسمها اشتقّ من هذه الحادثة، فكلمة نزينغا مشتق من الفعل كوزينغا (Kujinga) في اللغة المحلية والذي يعني "التفّ"، كما أنّ كهنة المملكة تنبؤوا لها

بمستقبل استثنائي، لهذا حظيت من طرف والدها برعاية مميزة. فلقد وُفِّر لها والدها تربية عسكرية بالأساس، حيث تعلّمت منذ سن مبكر رقصة إيقاعيا مكنها من مراوغة وتجنب ضربات السِّهام، ومن المصارعة جسد لجسد، كما تعلمت فنون القتال بالحرية و القوس، و لكن الشيء الذي ابهر الجميع هو تفوّقها بمراحل على أخيها الأكبر "مباندي" في استعمال الفأس في القتال، و الذي يعد الرمز الملكي لمملكة ندونغو²⁴.

كانت نزينغا تتمتع بذكاء حاد و دهاء سياسي و قائدة ذات رؤيا مستقبلية، تزوجت مرتين في حياتها، المرة الأولى تزوجت أمير مملكة مبونديو يسمى أزيبي (Azeze) لكنه قُتل في إحدى المعارك، بعدها تزوجت أحد الزعماء من أجل إقامة تحالف قصد تعزيز الوحدة بين شعبها وقبائل أخرى²⁵.

2.2.6. توليها الحكم:

حكمت نزينغا مملكة ندونغو خلال الفترة الممتدة (1581 و 1663م) وبالتالي فقد عرفت إفريقيا في عهدها نمواً سريعاً في تجارة العاج و الرقيق، وخاصة منذ أن توغلت البرتغال إلى المنطقة قبل قرن من الزمن على الأقل تولي نزينغا الحكم في ندونغو، وتوطدت القوة البرتغالية في المنطقة، إذ أسَّسوا عدة مرفأى في المدن الساحلية الأطلسية من أجل تصدير العبيد إلى العالم الجديد، فمنذ 1567م تم بناء أول مرفأ لتجميع العبيد في مستوطنة لواندا (في أنغولا الحاليّة) أين تم تصدير الآلاف من العبيد نحو كوبا و البرازيل²⁶، فواجه الحكام الأفارقة معضلة بين الخضوع للتضحية بالاستقلال الاسمي أو تقاوم فتحاطر المقاومة بفقدان العلاقات التجارية المميزة مع البرتغال. فظهرت هنا الملكة نزينغا التي تعاملت مع الوضع بذكاء²⁷.

استغلت نزينغا ظروف الحرب مع البرتغال لتمهد طريقها نحو الملك. ففي سنة 1617م فقّدت نزينغا والدها، فقام أخوها مباندي بالاستعجال بتسلّم السلطة متجاهلاً

اقتراع مجلس النبلاء الذي من المفوض هو من سيختار الملك الجديد للمملكة، حيث أعلن عن نفسه ملكا حتى قبل أن يصل النبلاء المنتخبون إلى العاصمة، وشعورا منه بأنه غير شرعي، وخوفا من المعارضة فإن مباندي قام بقتل والدته والعديد من حاشية القصر المهمين، كما قام بقتل ابن أخته نزينغا حديث الولادة والذي أنجبته من أحد خلائها، وأمر بتعقيم أخته نزينغا وأخته الأخرى، حتى لا يكون له من ينافسه على العرش، بعدها دخل في حرب بدون هوادة مع البرتغاليين. ولكن بعد أربع سنوات من الحرب تعرضت مملكته إلى الغزو وسقطت عاصمته، وقرر الهرب إلى المناطق الشرقية من المملكة أين توجد جزر كيندونغا في نهر كوانزا²⁸.

فبينما قاد أخوها نجولي بيبوندي (ملك ماتامبا)، تمرّدًا على الحكم البرتغالي في المنطقة عام 1617م، وانهمز على أيدي قواتهم بقيادة "لويس منديس دي فاسكو"، وبعد سنوات من غارات البرتغاليين بهدف القبض على العبيد الأفريقيين، والتي تخللها معارك متقطعة، لجأت نزينجا إلى التفاوض من أجل الحصول على هدنة، حيث استغلت هزيمة أخيها الذي اضطر إلى إرسالها كمبعوثة له سنة 1621م للتفاوض مع الحاكم البرتغالي الجديد في لواندا وهو "جواو كاريرا دي سوزا" (Joao Carreira de Sousa)، فلقد أثبتت مهارة وحنكة كبيرتين في التفاوض منذ أول مرافعة لها أمام الحاكم البرتغالي، حيث وعدته بالعيش بسلام مع المستوطنين البرتغاليين، لكنها رفضت رفضا قاطعا أن تدفع مملكة ندونغو إتاوات سنوية في شكل عبيد كل سنة للبرتغال، وخاطبت الحاكم البرتغالي قائلة: « من وُلد حرا فلا بد أن يحافظ على حريته ولا يجب ان يخضع لغيره أبداً». ومن اجل أن تنال ثقة الحاكم البرتغالي قامت باعتناق الديانة المسيحية من اجل تعزيز المعاهدة، كما اتخذت لنفسها اسما برتغاليا وهو "دونا آنا دي سوزا" وهذا حتى توهم عدوها الحاكم البرتغالي بأنه أصبح قدوة وأبًا روحيا لها، بل دفعها دهاؤها السياسي إلى وعد البرتغاليين بتسهيل مهمات

الحملات التبشيرية في بلادها، رغم انها بعيدا عنه كانت تمارس طقوسها الوثنية بكل إخلاص²⁹.

وبذلك اكتسبت حليفاً في الكفاح ضد أعدائها الأفارقة، وفي الوقت نفسه دعت إلى وقف غارات العبيد البرتغاليين في مملكتها. وبعد مرور سنتين من هذه الاتفاقية واستتباب الأمن وتخلصها من إخطار أعدائها الداخليين أيضا قامت نزينغا بقبل أخيها وقطعت رؤوس منافسيها الخطيرين وتم انتخابها من طرف مجلس النبلاء كملكة لمملكة ندونغو وذلك في سن 42 سنة، وبالتالي كانت أول امرأة تتوج كملكة لندونغو³⁰.

3.2.6. حربها مع البرتغال:

منذ أن تولت نزينغا عرش ندونغو قررت أن تعطي هبة لمملكتها، ففي سنة 1624م أعلنت أن ندونغو مملكة مستقلة و أن العبيد الموجودين على أراضيها لا يمكن تسليمهم للمالكين السابقين، فلقد قدمت الملكة الملاذ الآمن لكل العبيد الهاربين و رحبت بهم ، و أصبحوا يشكلون أهم شريحة مساندة لها في الحكم، كما تصدت بكل شراسة للتمردات التي تعرضت لها من طرف تجار العبيد البرتغاليين، وبذلت قصارى جهدها لمنع أخذ العبيد من ندونغو، حيث كانت البرتغال قد أسست أول مستوطنة في إفريقيا لتجميع العبيد في أمباكا (Ambaka) سنة 1616م، وذلك تحت إدارة الحاكم البرتغالي لويس منداس فاسكونسيلو (Louis Mendes vasconcelos)، والذي أصبح يُهدد بشكل مباشر مملكة ندونغو، ثمّ تمّ بناء مركز أخز لتجميع العبيد في لواندا.

لهذا حاولت الملكة إقامة تحالف بين ندونغو والبرتغال³¹، لكن بعد سنتين من إقامة الصلح مع البرتغاليين قام هؤلاء بنقض هذا الصلح، فهاجموا مرة أخرى ندونغو فاندلعت الحرب مرة أخرى فحاربت نزينغا وقاتلت البرتغاليين في العديد من المعارك بين سنتي 1624 و 1661، حيث حارب، وقاتلت كملكة شرسة، مستعملة طقوس الأفارقة

البدائيين من نخب وسلب ومصرّ دماء أعدائهم فأدخلت الرعب في صفوف أعدائها، لكن البرتغاليون انتصروا بدورهم في العديد من المعارك، قبل مجيء الهولنديين إلى المنطقة فاستغلت المملكة لاحتلال الهولنديين لواندا سنة 1641، وطردهم للبرتغاليين للتحالف معهم على مبدأ عدو العدو صديق، وقامت بإرسال عبيد إلى الشركة الهولندية للهند الشرقية، وبمساعدة الهولنديين تمكنت من إلحاق هزيمة شنيعة بالبرتغاليين سنة 1648م³².

في سنة 1656م أصبحت الملكة نزينغا ملكة لمملكتين هما ندونغو وماتبا بعدما ضمت هذه الأخيرة إليها وخلصتها من الاستعمار البرتغالي، و حولتها إلى أكبر مركز تجاري في المنطقة³³، فقد استغلت بدهاء سياسي كبير ظروف الصراع بين القوى الأوروبية والمنافسة التجارية الشرسة بينهما وبين مبشري الكنيستين المسيحيتين اليسوعية والفرانثيسكانية، وفرضت على البرتغاليين هدنة أخرى عطلت استقرارهم في المنطقة لعدة سنوات. كما أنها تحولت في آخر حياتها بعد بلوغها سن 75 إلى مبشرة للديانة المسيحية و حولت مملكتها إلى مملكة مسيحية³⁴.

4.2.6. نهاية الملكة نزينغا:

عندما بلغت 75 سنة من عمرها خصّصت نزينغا ما تبقى من حياتها لنشر المسيحية في ندونغو وماتبا، واختارت من بين حاشيتها شاب اسمه سيباستيا (Sébastien) وتحلّت عن أربعين رجل من خلالها، وتزوجته حسب المراسيم المسيحية، كما أعلنت عن توقيف طقوس التضحية البشرية التي كانت معتادة عليها، وفي سنة 1661م تلقت رسالة من البابا ألكسندر السابع يدعوها فيها بالأخت في المسيحية ويعترف لها باستقلال مملكتها، و بعد ثلاثة أيام من تلقيها تلك الرسالة توفيت الملكة نزينغا.

خاتمة:

من خلال هذه الورقة يمكننا أن نقول بأن إفريقيا و خاصة ذلك الجز المتواجد جنوب الصحراء الكبرى كانت تمثل بيئة اجتماعية و ثقافية و انثروبولوجية مميزة للمرأة حتى تمارسها دورها السياسي سواء من خلال المساهمة في الحياة السياسية العامة، أو من خلال المشاركة في الحكم، أو من خلال السيطرة على الحكم في عدة نماذج من ممالك غرب إفريقيا.

فلم تكتف المرأة الإفريقية بممالك غرب إفريقيا بوراثة العرش الذي كان يمنحها إياه تقاليد وراثية البنت و إنما كانت لديها لمستها في التسيير، و حنكتها الدبلوماسية فعرفت كيف تحافظ على سلامة أراضيها و سيادة ممالكها.

الهوامش:

¹ - نور الدين شعباني، عائلة كيتا و دورها في مملكة مالي الإسلامية - من القرن الخامس الى القرن العاشر الهجريين/ ق11- ق16م، دار القدس الذهبية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2019، ص107.

² - نفسه، ص7.

³ - Marie-Odile Attanasso, **Femme et pouvoir politique au Benin des Origines Dahoméennes a nos jours**, imprimerie COPEF, Cotonou, Benin, 2012, p50.

⁴ - صفاء علي، الملكة أمينة.. محاربة مسلمة صنعت مجد أفريقيا، موقع الكتروني:

[HTTPS://WWW.ALJAZEERA.NET/NEWS/WOMEN/2019/7/15](https://www.aljazeera.net/news/women/2019/7/15)

انظر ايضا: منة الله حمادي، نساء في التاريخ.. الملكة أمينة محاربة شجاعة و أوّل حاكمة في جنوب إفريقيا، موقع الكتروني: <https://www.youm7.com/story/2020/5/15>

⁵ - البكري (أبي عبيد)، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب وهو جز من كتاب المسالك والممالك، مكتبة أمريكا و الشرق ميزونوف، باريس، 1965م. ص ص 174-175.

⁶ - ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار. (المعروف بالرحلة)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992م.

⁷ - ويصفه محمود كعت بالملك الفاضل التقي الورع. (تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس. طبعة هوداس وموريس دولافوس، المكتبة الأمريكية والشرقية، باريس، 1964م، ص 33. بخصوص الملك منسا موسى انظر أيضا: نور الدين شعباني، عائلة كيتا ودورها في مملكة مالي الإسلامية، مرجع سابق، ص ص 137 - 138.

⁸ - ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 688.

⁹ - محمود كعت، مصدر سابق، ص 37.

¹⁰ - ابن بطوطة، مصدر سابق، ص ص 688 - 689؛ عبد الله عيسى، مكانة المرأة في مجتمع السودان الغربي ما بين القرنين 11 و 16م، سلسلة البحوث والدراسات، برنامج إفريقيا، قضايا التاريخ والحضارة، رقم 2 يوم 24 مارس-آذار 2021 موقع الكتروني:

<https://gulffutures.org/archives/2737>

¹¹ - ¹¹ كانت عادة أهل مالي أنهم يستجبروا بالمسجد أو دار الخطيب في حالة تعرضهم لتهديد أو مطاردة، دار الخطيب تحظى مثل المسجد بحزمة كبيرة لدى المالين، انظر: عبد الله عيسى السلامة، الإسلام مرجعية لمملكة مالي خلال القرن 08هـ/14م، مجلة البيان الإلكترونية، عدد مارس 2014، موقع الكتروني:

<https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=3567>

¹² - ابن بطوطة، نفس المصدر المصدر، ص 689.

¹³ - تقع منطقة (فوتا تورو) شمال شرقي السنغال وجنوب غربي موريتانيا، ومنذ نهاية القرن السابع عشر الميلادي وبداية القرن الثامن عشر الميلادي نشأت دولة الأئمة ، او ما يعرف بدولة الإمامة أو (المامي) التي كان لها أثر بالغ في تاريخ الإسلام الحديث، تأسست هذه الدولة على أيدي عشيرة توروديه التي كانت أكثر أهل تكور تمسكا بالإسلام، وكان هدفها إنقاذ الشعوب من حكم ملوك دينيكه (Denianké) الوثنيين وأسلمتهم، وبالفعل نجحت عشيرة توروديه في خطتها، فاستطاعت ان تطيح بمملكة دينيكه الوثنية بقيادة الشيخ سليمان بال عام 1770م، وبذلك أصبح هذا الأخير أول مؤسس لدولة الماميا . وقد عرفت فترة حكم دولة الماميا في عهد الأئمة (الماميين) استقرارا سياسيا واجتماعيا وانتشارا للإسلام، وازدهار علميا، في ظل خلافة إسلامية ثم العمل على نشر الثقافة العربية الإسلامية.

¹⁴ - Catherine Coquery-Vidrovitch, **des Reines mères aux épouses de président**, In : *Politique Africaine*, Karthala, 2004, N°95, Pp19-31.

<https://www.cairn.info/revue-politique-africaine-2004-3-page-19.htm>

¹⁵ - تقع مملكة بوغندا في جنوب أوغندا، ويمتد تاريخها إلى حقبة أقدم بكثير من الجمهورية المعلنة حاليا في البلاد، واشتق منها اسم أوغندا الحديثة.. إنها مملكة "بوغندا"، التي تعتبر واحدة من أقدم الممالك التقليدية في شرق أفريقيا، إذ يرجع تاريخها إلى نحو 1000 عام، وكان ملوكها يعرفون باسم كاباكا.

¹⁶ - Catherine Coquery-Vidrovitch, **des Reines mères aux épouses de président**, Op. Cit.

¹⁷ - نور الدين شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر للنشر، الجزائر، 2015م، ص82.

¹⁸ - Sandro Capo chichi, **Hangbé la seule Reine Du Dahomey**. In : <https://www.nofi.media/2014/10/hangbe-la-seule-reine-du-dahomey/1655>

¹⁹ - هم الشعوب التي كانت تعيش في جنوب داهومي واشتق اسمهم من اسم نهر اومي.

²⁰ - Catherine Coquery-Vidrovitch, **des Reines mères aux épouses de président**, Op. Cit.

²¹ - Coumbis Hope Lowie, **Des femmes, des dieux et du sang : les plus grandes reines d'Afrique**. In :

<https://www.vanityfair.fr/savoir-vivre/story/les-reines-dafrique-les-plus-puissantes-de-lhistoire/193>, Publié le JEUDI, 19 OCTOBRE 2017

²² - Ibid.

²³ - Stella Abasa Dadzie, **AKick in the Belly : Women Slavery and Resistance**, First Published by Verso , New York, USA, 2020, p1.9

²⁴ - Jean-François Paillard, Njinga, La fascinante reine guerrière d'Angola, In :

<https://www.caminteresse.fr/histoire/njinga-la-fascinante-reine-guerriere-dangola-11125648/>

²⁵ - Dirk C. Gibson, **Legends, Monsters, or Serial Murderers? The Real Story Behind an Ancient Crime**, ABC-CLIO éditions, Cameroun, 2012, P104.

²⁶ - Jean-François Paillard, Njinga, **La fascinante reine guerrière d'Angola**, Op.Cit.

²⁷ - Dr Catherine Lee, **World-Changing Women: Queen Nzinga**, In : <https://www.open.edu/openlearn/history-the-arts/world-changing-women-queen-nzinga> Updated Wednesday, 25th February 2015

²⁸ - Jean-François Paillard, Op.Cit.

²⁹ - Jean-François Paillard, Op.Cit.

³⁰ - Ibid.

³¹ - Dirk C. Gibson, **Legends, Monsters, or Serial Murderers**, Op.Cit, p105.

³²- André Kisalu Kiala, **Le drame angolais**, L'Harmattan, Paris, 2015, P35

³³ - André Kisalu Kiala, **Angola : Trajectoire dramatique d'un Pays**, **L'Harmattan**, Paris, 2015, P31.

³⁴ - Flavien MUZUMANGA Ma-Mumbimbi, **Trinité et sens de la foi des fidèles**, éditions Babao, Kinshasa, 2019, P131.